«الرحمة النبوية منهج لتعزيز التوازن النفسي والاجتماعي: مقاربة تحليلية معاصرة»

Prophetic Mercy Framework For Promoting Psychological And Social Balance: A Contemporary Analytical Approach

الباحث

د.ثامر عبد المُهدي حتاملة

الأستاذ المشارك في الحديث النبوي الشريف

Associate Professor Dr.thamer Hatamleh

Samirhatemleh@Gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث الرحمة النبوية بوصفها منهجًا شاملًا لتعزيز التوازن النفسي والاجتماعي في ضوء السيرة النبوية، من خلال قراءة تحليلية تربط بين النصوص الشرعية والمفاهيم النفسية والاجتماعية المعاصرة. وقد استعرضت الدراسة مظاهر الرحمة في سلوك النبي محمد ﷺ، وأثرها في بناء الأمن النفسي للفرد، وتحقيق العدالة الاجتماعية والتماسك المجتمعي، مع التركيز على القيم العملية المستخلصة من مواقفه ﷺ في الحياة العامة والخاصة. كما أبرزت الدراسة تقاطعات الرحمة النبوية مع بعض المناهج الحديثة في العلاج النفسي، مثل العلاج بالتعاطف (CFT) والعلاج القائم على القبول والالتزام (ACT)، وقدّمت نماذج تطبيقية من واقع المؤسسات التعليمية والإدارية والأسرية، موضحة أثر هذا المنهج في خفض التوتر وتعزيز الانتماء. وخلصت الدراسة إلى أن الرحمة النبوية ليست فقط قيمة أخلاقية، بل مشروع حضاري متكامل قابل للتفعيل في المجتمعات المعاصرة، شريطة إعادة تأصيلها ضمن رؤية مؤسسية وتربوية شاملة.

الكلمات المفتاحية:الرحمة النبوية، التوازن النفسي، الأمن الاجتماعي، العلاج النفسي الإسلامي، العدالة الاجتماعية، المقاربة المعاصرة.

Abstract:

This study explores Prophetic mercy as a comprehensive framework for promoting psychological and social balance, drawing upon the Prophet Muhammad's ﷺ biography (Sīrah) through an analytical reading that integrates Islamic scriptural sources with contemporary psychological and sociological concepts. The research examines manifestations of mercy in the Prophet's conduct and its impact on fostering individual psychological security, establishing social justice, and reinforcing communal cohesion. Special emphasis is placed on practical values derived from the Prophet's public and private interactions. The study also highlights the intersections between Prophetic mercy and modern psychotherapeutic models, particularly Compassion-Focused Therapy (CFT) and Acceptance and Commitment Therapy (ACT). Real-world case studies from educational, administrative, and familial settings are presented, illustrating the positive outcomes of applying this prophetic model in reducing stress and enhancing belonging. The study concludes that Prophetic mercy is not merely an ethical virtue but a holistic civilizational project, capable of contemporary application—provided it is recontextualized within comprehensive institutional and educational frameworks.

Keywords: Prophetic Mercy, Psychological Balance, Social Security, Islamic Psychotherapy, Social Justice, Contemporary Approach.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تُعدّ السنة النبوية المطهّرة مصدرًا زاخرًا بالقيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية التي تسعى إلى تحقيق سعادة الإنسان واستقراره النفسي والاجتماعي، ومن أبرز تلك القيم التي تجسّدت في شخصية النبي ﷺ وسلوكياته وتعاليمه، قيمةُ الرحمة، التي لم تكن مجرّد عاطفة وجدانية عابرة، بل تحوّلت إلى منهج متكامل، عبّر عنه ﷺ قولًا وفعلًا، في تعامله مع الأفراد والجماعات، باختلاف خلفياتهم الدينية والاجتماعية والإنسانية.

وفي عصر تتسارع فيه وتيرة الضغوط النفسية، وتتفشّى فيه مظاهر العنف، والتهميش، والانفصال المجتمعي، تبرز الحاجة الملحّة إلى استلهام النماذج النبوية، ولا سيما في بعدها الرحمي، لما لها من أثر مباشر في ترميم التوازن النفسي وتعزيز الأمن الاجتماعي.

لقد اتّسمت الرحمة النبوية بالشمول؛ فلم تقتصر على المسلمين، بل امتدت لتشمل المخالفين، والمستضعفين، والنساء، والأطفال، بل وحتى الحيوان والجماد، مما يعكس بوضوح الطابع العالمي لهذا الخُلق العظيم، وجدارته بأن يُستحضر كمنهج علاجي وتربوي في واقع الإنسان المعاصر.

من هذا المنطلق؛ تسعى هذه الدراسة إلى تحليل تجليات الرحمة في السيرة النبوية، واستكشاف أبعادها النفسية والاجتماعية، من خلال مقاربة تجمع بين التحليل النصي للأحاديث النبوية، والفهم العلمي لمفاهيم الصحة النفسية والاجتماعية المعاصرة، وصولًا إلى تصور عملي لتفعيل هذا المنهج في مؤسساتنا ومجتمعاتنا اليوم.

وبناء على ما سبق تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مظاهر الرحمة في السنة النبوية، وبيان أثرها في تعزيز الأمن النفسي والاجتماعي، من خلال مقاربة تجمع بين التحليل النصي للأحاديث والسيرة، وبين المفاهيم النفسية والاجتماعية المعاصرة. وتحاول الدراسة كذلك أن تستقرئ كيف يمكن لهذا المنهج النبوي الرحماني أن يشكّل مدخلاً عمليًا لعلاج كثير من الأزمات النفسية والاجتماعية التي يعاني منها الإنسان المعاصر.

١. خطة البحث:

تنطلق هذه الدراسة من مقاربة تحليلية تجمع بين الأصول الشرعية والمفاهيم النفسية والاجتماعية، وذلك من خلال المحاور الآتية:

بيان مكانة السنة النبوية بوصفها مصدرًا تشريعيًا وسلوكيًا يرسم ملامح المنهج القيمي في الإسلام، وبخاصة فيما يتعلق ببناء العلاقات الإنسانية.

- **تسليط الضوء على مفهوم الأمن النفسي والاجتماعي**، وبيان أثره في تحقيق التوازن والاستقرار داخل الفرد والمجتمع، من خلال مناهج علم النفس والاجتماع.

- **الوقوف على التحديات المعاصرة** التي تهدّد هذا الأمن، مثل التفكك الأسري، والقلق، والتهميش، والعنف الرمزي والمادي.

- **تحليل الإشكالية الرئيسة** التي تتمحور حول: كيف أسهمت الرحمة النبوية في تعزيز التوازن النفسي والاجتماعي؟ وما مدى قابلية هذا المنهج للتوظيف العملي في سياقاتنا الراهنة؟

٢. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمعرفية، من أبرزها:

- **إبراز مكانة الرحمة في السنة النبوية**، بوصفها مكونًا جوهريًا في شخصية النبي محمد ﷺ، ومنهجًا تأسيسيًا في دعوته وسلوكياته.

- **تحليل الأثر النفسي والاجتماعي للرحمة النبوية**، من خلال استقراء تطبيقاتها في السيرة، وبيان دورها في بناء التوازن الداخلي للفرد والتماسك المجتمعي.

- **الربط المنهجي بين الرحمة النبوية ومفاهيم علم النفس والاجتماع المعاصر**، بما يسهم في إبراز انسجام هذا المنهج مع متطلبات الإنسان الحديث.

- **تقديم تصور عملي لتوظيف الرحمة النبوية** في مختلف البيئات التربوية، والعلاجية، والإدارية، بما يجعلها أداة فعالة لمواجهة تحديات العصر.

٣. أهمية البحث:

- يسهم في تعزيز الوعي بأهمية الرحمة كأساس للاستقرار النفسي والاجتماعي.
- يقدم رؤية عملية تربط بين السنة النبوية وعلم النفس والاجتماع المعاصرين.

٤. الإطار النظري:

- تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح.
- مفهوم الأمن النفسي والاجتماعي في علم النفس والاجتماع.
- لمحة عن منهج النبي محمد ﷺ في التعامل مع الناس (أمثلة من السيرة).

٥. محاور البحث:

أ. الرحمة النبوية وتعزيز الأمن النفسي:

التعامل مع القلق، الحزن، الغضب، الضعف (أحاديث نبوية وأمثلة تطبيقية).

الرحمة تجاه الذات والآخرين (نموذج النبي مع ضعفاء الصحابة، المرضى، الأطفال...).

ب. الرحمة النبوية وتعزيز الأمن الاجتماعي:

التسامح والعفو كأساس للتماسك المجتمعي.

معاملة النبي للمخالفين والمشركين واليهود والمنافقين.

العدالة الاجتماعية ومراعاة الفوارق الطبقية والعرقية.

ج. **مقاربة معاصرة:**

كيف يمكن للرحمة أن تكون مدخلاً في العلاج النفسي (العلاج بالتعاطف والقبول).

الرحمة كأسلوب في إدارة الأسرة، المؤسسات، والمدارس.

تحديات تطبيق هذا المنهج في ظل العولمة والتغيرات الاجتماعية.

إشكالية البحث:

تنبثق هذه الدراسة من تساؤل محوري يتمثل في:

كيف ساهم منهج الرحمة في السنة النبوية في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي؟ وما مدى إمكان توظيف هذا المنهج في معالجة الأزمات النفسية والاجتماعية المعاصرة؟

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية، منها:

- ما المفهوم الشامل للرحمة في السنة النبوية؟
- ما هي أبرز المواقف والأحاديث التي تجسّد هذا المنهج؟
- ما العلاقة بين الرحمة النبوية ومفاهيم الأمن النفسي والاجتماعي في العلوم المعاصرة؟
- كيف يمكن الاستفادة من هذا المنهج في واقعنا الحالي على المستوى التربوي والأسري والعلاجي؟
- هل تود أن ننتقل الآن إلى الإطار النظري أم تفضل أن نكتب محاور الدراسة مباشرة؟

الإطار النظري:

١. الرحمة: المفهوم والدلالات.

الرحمة في اللغة مأخوذة من «رَحِم»، وهي تدل على الرقة والتعاطف والرأفة، وهي من الصفات المحمودة التي تدعو إلى الإحسان والعطف على الآخرين، قال ابن فارس: (يدلُّ على الرّقّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه، والرُّحْم والمَرْحَمَة والرَّحْمة بمعنىً، والرَّحِم: عَلاقة القرابة، ثم سمِّيت رَحِمُ الأنثى رَحِماً من هذا، لأنّ منها ما يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقّ له مِن ولد)[1].

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٢/ ص٤٩٨.

أما في الاصطلاح الشرعي، فهي خلق كريم نابع من الإيمان، يبعث على معاملة الناس بلين ورفق، ويدفع نحو الإحسان إليهم، ودفع الضرر عنهم، ومشاركتهم مشاعرهم وظروفهم، قال الجرجاني: (الرحمة: هي إرادة إيصال الخير)[١]، وقال المناوي: (والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلانا)[٢].

وقد جاء وصف النبي ﷺ في القرآن الكريم بأنه «رحمة للعالمين»، كما قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء: ١٠٧]، مما يدل على شمول هذه الرحمة وكونها أصلًا في رسالته وسلوكه.

٢. الأمن النفسي والاجتماعي: المفهوم الحديث.

الأمن النفسي: حالة من الاستقرار الداخلي والطمأنينة، تنشأ من شعور الفرد بالقيمة، والانتماء، والحماية من التهديدات الداخلية أو الخارجية[٣].

الأمن الاجتماعي: هو شعور الأفراد بالأمان في علاقاتهم الاجتماعية، والاطمئنان إلى وجود نظم عادلة تحميهم من الظلم، وتكفل لهم التماسك والتضامن المجتمعي[٤].

تشير دراسات علم النفس والاجتماع إلى أن انعدام الرحمة والتعاطف يؤدي إلى مشكلات مثل القلق، العزلة، العنف، والاكتئاب، بينما يشكّل التعاطف والرحمة أساسًا في تقوية العلاقات الإنسانية وتحقيق التوازن النفسي.

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م،

(٢) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر أ دار الفكر - بيروت أ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص٣٦٠.

(٣) مصطفى علي رمضان مظلوم، ٢٠١٤ : (العلاقة بين الأمن النفسي والولاء للوطن لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، العدد ٨٤، ص٢٧٥.

(٤) العساسفة، رامي عودة الله عبدالله، «الامن الاجتماعي في فكر ابن خلدون»، مجلة كلية التربية الأزهر، العدد ١٨٠، صفحة ٣٨٦. بتصرّف.

المبحث الأول
الرحمة النبوية وتعزيز الأمن النفسي

مثّلت الرحمة في سلوك النبي ﷺ عنصرًا أساسيًا في بناء النفس الإنسانية، وتعزيز شعورها بالأمان والطمأنينة. فلم تكن رحمته مقتصرة على الأقوال، بل كانت ظاهرة في ممارساته اليومية، وتوجيهاته التربوية، ومواقفه الحياتية، التي عالج فيها مشكلات الأفراد بأساليب قائمة على التقدير، والاحتواء، والتعاطف.

لقد تجلّى هذا المعنى في كثير من المواقف، نذكر منها:

التوجيه إلى التوازن النفسي الذاتي: فحديث النبي ﷺ (إن لنفسك عليك حقًا)[1]، يعكس إدراكًا عميقًا لحاجة النفس إلى الراحة والمتعة المباحة؛ لتظلّ قوية متزنة، قال ابن بطال: «يريد ما جعله الله تعالى للإنسان من اللذة والراحة، فإن ذلك يُعينه على طاعة الله ويمنحه النشاط والسكينة»، كما أشار إلى وجوب الوفاء بحقوق النفس والأهل، في توازن لا إفراط فيه ولا تفريط يبرز التوازن النفسي في التشريع النبوي، قال ابن بطال: يريد ما جعل الله تعالى للإنسان من الراحة المباحة واللذة في غير محرم، فإن في ذلك قوة على طاعة الله ونشاطًا إليها، وكذلك للأهل حق على الزوج أن يوفيهم حقوق الزوجية ، وأن ينظر لهم فيما لابد لهم من أمور الدنيا والآخرة[2].

معالجة الاضطرابات النفسية بالحوار والتفهّم: يتجلى المنهج النبوي الرحمي في موقفه ﷺ مع الشاب الذي طلب الإذن بالزنا؛ حيث لم يُقابله النبي ﷺ بالتقريع أو الزجر، بل بالحوار الهادئ والأسئلة التي استنهضت فيه الضمير الفطري، فخاطبه بلغة العاطفة والعقل، حتى انتهى به الأمر إلى أن صار لا يلتفت إلى شيء بعد ذلك، هذا الموقف يشكّل نموذجًا علاجيًا نفسيًا يُحتذى به، يقوم على الاحتواء، وتفهم الدوافع، وتوجيه الانفعالات، حيث إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ: لاَ. وَاللهَّ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ: لاَ. وَاللهَّ يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب من أقسم على ليفطر، حديث١٨٦٧، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ط٣ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا / الترمذي، محمد بن عيسى، السنن، كتاب الزهد، باب إن لنفسك عليك حقاً، حديث ٢٥٩٦، وقال الترمذي: حديث صحيح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، د. ت.

(٢) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج٣، ص١٤٦.

قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

الاهتمام النفسي بالصغار والضعفاء: ومن مظاهر الرحمة النبوية، رعاية مشاعر الأطفال ومخاطبتهم بلغة ودودة تُشعرهم بالأهمية والانتماء، كما في حديث أنس رضي الله عنه: فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: (يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ)[2]، وقد استنبط ابن حجر من هذا الحديث أكثر من سبعين فائدة تربوية، منها: جواز مزاح الكبير مع الصغير، وتحبيب الطفل بالكلام الطيب، وتكنيته بما يسرّه، ومراعاة حالته النفسية عند فقده شيئًا يحبّه، وكلها مؤشرات على الوعي النبوي العميق بالنمو العاطفي لدى الطفل؛ منها: مزاح الكبير مع الصغير جائز ومشروع، تكرار المزاح لا حرج فيه إذا لم يكن مذمومًا، المزاح المباح سنة وليس مجرد رخصة، جواز مخاطبة من لا يعقل لأجل التأنيس أو التعليم، وفيه تأليف له، تصغير الاسم للصغير جائز ومحبب، مسح رأس الصغير فيه ملاطفة ورحمة، التفقد والسؤال عن حال الصغير أدب نبوي، مخاطبة الصغير بخطاب فيه عاطفة ولين، معاشرة الناس على قدر عقولهم، تربية الطفل على التمييز بالحلال والحرام من الصغر، إشراك الطفل في الحوار والموقف التربوي، ملاطفة الطفل لا تنافي الوقار، السماح للطفل باللعب بما هو مباح، الاهتمام النفسي بحالة الطفل (مثل سؤال النبي عن الحزن)، تعليم الطفل من خلال القصص والمواقف لا فقط بالأوامر، إظهار الحب لأقارب الخادم دليل وفاء وكرم، إكرام الصغير فيه قدوة للآباء والمربين، تعليم الطفل بالقدوة أكثر من التلقين، جواز الإيناس بالكلام حتى لمن لا يجيب، تهيئة البيئة المريحة للطفل في بيته[3].

إشراك الأطفال في بيئة آمنة: وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي[4].

وهذا يدل على أن بيئة النبي ﷺ كانت بيئة آمنة نفسيًا، تراعي حاجات الأطفال، وتحترم مرحلتهم العمرية، دون قسوة أو تزمت، ما يرسّخ لديهم شعور الثقة والانتماء.

---

(١) ابن حنبل، أحمد، المسند، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب - بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مسند الأنصار، حديث ٢٢٤٦٥، والحديث صححه الألباني.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج٥، ص٢٢٧٠، حديث ٥٧٧٨.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ج١٠، ص٥٨٤-٥٨٧.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، حديث ٥٧٧٩.

الرحمة في مواجهة الحزن والقلق: ورد عن النبي ﷺ أدعية وتوجيهات نبوية لمواجهة الهموم، مثل دعاء ذي النون، حيث قال رسول الله ﷺ دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له[١].

وقد اشتملت هذه الأدعية على أساليب نفسية فعالة، كالتفريغ العاطفي، والاستغفار، والاعتراف بالضعف أمام الله، مما يُعين المسلم على تحقيق السكينة النفسية، والرضا بالقضاء، والثقة بالعاقبة.

فمن كيفية تحقيق الطمأنينة من خلال الأدعية والتوجيهات النبوية:

- الاستعانة بالله: اللجوء إلى الله تعالى في كل وقت وحين، وطلب منه العون في كل أمر.
- التفكر في معاني الأدعية: فهم معاني الأدعية والتمسك بها، فهذا يزيد من شعور المسلم بالاطمئنان.
- تكرار الأدعية: تكرار الأدعية بشكل منتظم، فهذا يساعد على تخفيف القلق والتوتر.
- العمل بما جاء في الأدعية: تطبيق ما جاء في الأدعية في حياتنا اليومية، مثل الثبات في مواجهة الصعاب، والاعتماد على الله في كل أمر، انطلاقاً من مبدأ الركن السادس من أركان الإيمان؛ وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

بناء الأمن النفسي عبر التعاطف الفعّال: ومن النماذج المؤثرة كذلك، موقف النبي ﷺ مع جابر بن عبد الله في الغزوة، حين لاحظ تعثر جمله وتخلفه، فاقترب منه، وطمأنه، وأصلح له دابته، ثم ساعده على الركوب[٢]، هذا الموقف يُبرز كيف أن التفقد الشخصي والمساندة العملية تُشيع الأمن النفسي في النفوس، وتعزز الثقة بين القائد وأصحابه.

إن الرحمة النبوية لم تكن مجرد خُلق مثالي، بل ممارسة عملية لتلبية الحاجات النفسية، وتقدير مشاعر الإنسان، وتسكين آلامه، من خلال الحوار، والرفق، والمواساة، مما جعل من السيرة النبوية مدرسة رائدة في تعزيز الأمن النفسي لدى الأفراد، رجالًا ونساءً، صغارًا وكبارًا، مؤمنين وغير مؤمنين.

---

(١) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، حديث ٣٥٠٥. والحديث صححه الألباني.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب استئذان الرجل الإمام، حديث ٢٨٠٥.

المبحث الثاني: الرحمة النبوية وتعزيز الأمن الاجتماعي.

مثّلت الرسالة النبوية تحولًا تاريخيًا فارقًا في بناء المجتمعات، حيث قامت على تأسيس منظومة قيمية وإنسانية راقية، جعلت من الرحمة مبدأً حاكمًا في تشكُّل العلاقات، وتوجيه السلوك، وتحقيق الأمن المجتمعي، ولم تكن هذه الرحمة مجرد خُلُق شخصي يتحلى به النبي ﷺ، بل كانت جوهر الرسالة ومرتكز البعثة؛ كما في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٠٧].

التأسيس القيمي للمجتمع على الرحمة: وقد ظهرت معالم هذه الرحمة منذ اللحظة الأولى لوصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، حين بدأ بتوجيهٍ جامعٍ يحمل قيمًا كبرى تؤسس للمجتمع المتماسك المتراحم، فقال – كما روى عبد الله بن سلام رضي الله عنه؛ (فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَجِئْتُ فِى النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلَ شَىْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ)[١].

هذا التوجيه النبوي ليس مجرد وعظ، بل هو بيان سياسي-اجتماعي يؤسس للهوية القيمية للمجتمع الإسلامي الوليد، حيث يتجلّى فيه الربط بين السلوك الاجتماعي (السلام، إطعام الطعام) والنسق العبادي (الصلاة بالليل) والغاية الأخروية (دخول الجنة بسلام). وهو ما يعبّر عن منهج متكامل في بناء الأمن المجتمعي على أسس الإيمان والتراحم والتكافل.

عدالة النبي ﷺ مع الفئات المهمشة: لقد جسّد النبي ﷺ هذه الرحمة واقعًا عمليًا في معاملاته اليومية، خاصة مع الفئات المهمّشة والمستضعفة في المجتمع، من الأرامل، والمساكين، والعبيد، واليتامى، بل وحتى مع الأُسارى من الأعداء؛ ترجمةً لقوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: ٨).

وقد بلغ من تعظيم النبي ﷺ لحق هذه الفئات أنه شبَّه الساعي في قضاء حوائجهم بالمجاهد في سبيل الله: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)[٢].

إن هذه الأحاديث تُظهر كيف أسس النبي ﷺ عدالةً اجتماعية مبنية على الرحمة، تشارك فيها الدولة والأفراد، وتُراعى فيها الفئات التي تئن تحت وطأة الحاجة والتهميش.

---

(١) الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق، حديث ٢٤٨٥.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النفقات، حديث ٥٠٣٨.

ثم موقفه من مناوئيه، فقد كان النبي محمد ﷺ يتعامل مع أعدائه بحكمة ورحمة وعفو، حتى بعد أن تعرض للأذى من قبلهم، حيث كان يقابل السيئة بالحسنة، ويُظهر التسامح في أوقاتٍ عصيبة منها موقفه بعد فتح مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١]، يجسّد مبدأ العفو والرحمة كأساس للأمن المجتمعي.

وقد قال النبي ﷺ عن نفسه وعن بعثته: (إنما أنا رحمة مهداة)[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: إني لم أُبعث لَعَّانًا وإنما بُعِثْتُ رحمة)[٣].

لم تكن هذا التصرفات مجرد عفو شخصي، بل كان رؤية استراتيجية في إدارة الصراع، وبناء السلام، وترميم النسيج الاجتماعي، ومنع دائرة الانتقام من الاستمرار، وهو ما عبّر عنه ﷺ حين سُئل أن يدعو على المشركين فأبى ذلك.

إن التأمل في البناء النبوي للمجتمع المدني في المدينة يكشف عن حقيقة جوهرية، وهي أن الرحمة كانت الوسيلة والمنهج، بينما كان الأمن والاستقرار هو الثمرة والنتيجة، فقد أدار النبي ﷺ اختلافات الناس، وتبايناتهم الطبقية والدينية والقبلية، بل حتى العدائية، بمنهج الرحمة، حتى استطاع أن يصنع أمنًا نابعًا من داخل النفوس، لا مفروضًا من خارجها.

وقد قرن الله تعالى بين فقدان الأمن وفقدان سائر ضروريات الحياة، فقال:(وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...) [البقرة: ١٥٥]، فجعل الخوف – نقيض الأمن – أول ما يُبتلى به الناس، مما يدل على مركزية الأمن في استقامة أحوالهم الدنيوية والأخروية.

إن الرحمة النبوية ليست مجرد خُلق دعوي، بل هي مشروع حضاري لبناء الإنسان والمجتمع والدولة، وقد تجلت هذه الرحمة في أقوال النبي ﷺ وأفعاله، في بيته ومع أهله، وفي مجتمعه مع فقرائه وأغنيائه، وفي دولته مع الأصدقاء والأعداء. ومن ثم، فإن إحياء هذه الرحمة في واقعنا المعاصر يمثل مفتاحًا لإعادة بناء الأمن المجتمعي، وتجاوز الأزمات، وتحقيق السلم الأهلي والتعايش الإنساني.

فالأمن ضرورة إنسانية بالمنظور الإسلامي، وفريضة معيشية، لا ينتظم بدونه شأن، ولا يتحقق من غيره هدف دنيوي ولا أخروي، ولذلك قرنه الله بأساسيات الحياة في قوله (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) [البقرة: ١١٠]، بل بدأ به قبلها، إذ الأمن ضد الخوف، فالأمن

---

(١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط الأولى ـ ١٣٤٤هـ، ج٩/ ص١١٨، حديث ١٨٧٣٩

(٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الايمان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند
ط الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م، ج٢، ص٥٢٩، حديث ١٣٣٩، وصححه الألباني.

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، د.ط، كتاب البر والصلة، حديث ٦٧٧٨.

حجر الأساس لمشروع التعمير الحضاري، والاستخلاف البشري، تختل باضطرابه كل شؤون البشر.

فلا غرابة أن تكون السنة قد اهتمت بقضية الأمن الاجتماعي فهي قضية الإسلام ومقصوده الأكبر، فمن خلال الأمن يحفظ مقصود الشرع من الخلق وهي خمسة كما ذكرها العلماء، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، وقد جاءت السنة بكل تشريعاتها المختلفة لبسط الأمن على هذه المقاصد العظيمة، وفي جميع مناحي الحياة، تطبيق العدل مقرونًا بالرحمة، مما ساعد في تقليل التوترات الاجتماعية.

المبحث الثالث
مقاربة معاصرة لتوظيف الرحمة النبوية

تمثل الرحمة النبوية المتجسدة في سيرة وسلوك النبي محمد ﷺ، نظامًا قيميًا وأخلاقيًا متكاملاً يتجاوز البعد الديني ليشكل منهجًا حياتيًا وإنسانيًا شاملاً، وفي هذا المبحث نقف مع كيفية توظيف هذه الرحمة كمورد حيوي وفعال في مواجهة تحديات العصر النفسية والاجتماعية والقيادية، مع الإقرار بالتحديات التي تعترض سبيل هذا التوظيف.

أولاً: الرحمة والشفاء النفسي من خلال البعد الديني والعلاج النفسي.

لم تعد الرحمة مجرد فضيلة أخلاقية، بل أصبحت حجر زاوية في نظريات وتطبيقات العلاج النفسي المعاصر، مما يفتح آفاقًا رحبة للاستفادة من الرحمة النبوية:

١. العلاج القائم على القبول والالتزام [١](ACT) والرحمة النبوية:

- **التقاطع مع «القبول»:** يشجع ACT على تقبل الأفكار والمشاعر الصعبة دون مقاومة أو حكم، وتجسد الرحمة النبوية هذا المبدأ في مواقف متعددة، كقبول شكوى الأعرابي بخشونة في السؤال دون توبيخه، وقبوله لتنوع الصحابة واختلاف طبائعهم فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لَا تُزْرِمُوهُ ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ)[٢]، وفي رواية أبي هريرة: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا (وَهَرِيقُوا) عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ[٣]، فالرحمة هنا تعني الفهم والتسامح مع الضعف

---

(١) العلاج بالقبول والالتزام أو (Acceptance and Commitment Therapy – ACT) هو أحد أشكال العلاج السلوكي المعرفي، أي العلاج بالقبول والالتزام على أنه علاج مثبت علميًا في تحليل السلوك التطبيقي(ABA)، ويساعد على زيادة المرونة النفسية – والقدرة على الاتصال باللحظة الحالية بشكل كامل كإنسان واع ، وتغيير السلوك أو الاستمرار فيه عندما يخدم ذلك غايات قيّمة.

مجالات المرونة النفسية: يتم إنشاء المرونة النفسية من خلال ست عمليات أساسية على شكل سداسي قام بها الدكتور ستيفن هينز (steven hens). يتم تصور كل مجال من هذه المجالات على أنه مهارة نفسية إيجابية، علاج (ACT) القبول والالتزام ، هو شكل من أشكال نظرية الإطار العلائقي (RFT) في مجال تحليل السلوك التطبيقي (ABA) الذي يساعدنا على تعلم كيفية إقامة روابط بين أفكارنا ومشاعرنا وبيئتنا وأنفسنا ومن نحن؟ بطريقة تدفع سلوكياتنا في الاتجاه الذي نريد أن نكون فيه / / :https aba–resources.com /blog /acceptance_and_commitment_training_act

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، حديث ٥٦٧٩.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث ٥٦٦٤.

الإنساني، وهو جوهر «القبول» في ACT.

- **التقاطع مع «القيم والالتزام»:**

يركز ACT على التحرك نحو قيم الشخص المهمة، الرحمة النبوية لم تكن انفعالًا عاطفيًا مجردًا، بل تحولت إلى أفعال والتزام عملي: زيارة المريض، إغاثة الملهوف، إعانة الضعيف، إقامة العدل، هذا يجسد الالتزام الفعال القائم على القيم (الرحمة هنا قيمة مركزية) الذي يدعو إليه ACT. قول الرسول ﷺ: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[١]، فالتوجيه النبوي هنا يحث على الفعل الرحيم كإلتزام إنساني إسلامي، وهذه الأفعال تأخذ الأحكام: ما بين واجب وسنة، هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)[٢].

٢. **العلاج بالتعاطف (CFT) والرحمة النبوية:**

يعد العلاج بالتعاطف نموذج متكامل للتعاطف الذاتي والآخر، حيث يقدم النموذج النبوي رؤية متوازنة للتعاطف المتكامل، فالرحمة بالذات تتجلى في التيسير ورفع الحرج (كما في التخفيف في الصلاة أثناء السفر أو المرض)، وعدم تحميل النفس فوق طاقتها، قال تعالى: (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة:٢٣٣) وقال: (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة:٢٨٦)، والرحمة بالآخر كانت شاملة، من الصغير (مداعبته ﷺ للأطفال) إلى الكبير، من المؤمن إلى غير المؤمن (كما في تعامله مع أسرى بدر)، فهذا التوازن بين الرحمة الذاتية والرحمة بالآخر هو لب CFT.

- **مهارات نبوية عملية:**

قدمت السيرة النبوية مهارات تعاطفية عملية في تعامل النبي مع أصحابه في كثير من المواقف: كالإنصات الفعال (كما في حديث أم زرع الطويل)[٣]، وأحاديث التعرف على المشاعر كثيرة في السيرة النبوية (منها استشعار حزن الصحابة) مثل حديث جابر بن عبد الله ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ جَابِرٌ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ مَا شَأْنُكَ قُلْتُ أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ ثُمَّ قَالَ ارْكَبْ فَرَكِبْتُ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ..الحديث[٤]، ومنها التعبير اللفظي وغير اللفظي (الابتسامة، اللمسة الحانية) فعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ مَا حَجَبَنِي[٥] النَّبِيُّ ﷺ

(١) الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث ٢٠٤٩، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، حديث ١١٨٣.
(٣) البخاري، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، حديث ٤٨٩٣.
(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب استئذان الرجل الإمام، حديث ٢٨٠٥.
(٥) ما منعني من دخول داره: أي كان يأذن كلما استأذن وليس معناه أنه يدخل بدون استئذان أو يرى أزواجه.

مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي[١]، والعمل الإيجابي لتخفيف الألم (مساعدة المحتاج) كحديث (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)[٢]، هذه المهارات هي ما يسعى CFT إلى تدريب العملاء عليها.

ثانياً: الرحمة حصن مجتمعي: تطبيقات في التعليم والإدارة والأسرة.

الرحمة ليست ترفًا، بل ضرورة لبناء مجتمعات صحية ومتماسكة تقاوم العنف وتُعزز الصحة النفسية:

١. في البيئات التعليمية[٣]:

- تقليل العنف الطلابي: بيئة تعليمية رحيمة، مستوحاة من رحمة المعلم الأول ﷺ (الذي وصفه الله بأنه «بالمؤمنين رءوف رحيم») قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١٢٨)، تقوم على الفهم بدل القمع، والتوجيه بدل التوبيخ، واحترام الفروق الفردية، هذا يحد من الإحباط والعدوانية ويبني الثقة.

- تعزيز الصحة النفسية والتعلم: يشعر الطالب بالأمان النفسي في بيئة رحيمة، مما يحفز الإبداع ويشجع على طرح الأسئلة والمشاركة، الرحمة تشمل دعم الطلاب المتعثرين نفسيًا أو أكاديميًا برفق وصبر.

٢. في البيئات الإدارية والمؤسسية:

تقليل التوتر والعنف الوظيفي: تطبيق مبادئ الرحمة النبوية في الإدارة (العدل، الرفق، مراعاة الظروف، تقدير الجهد، الإنصاف) يخلق جوًا من الاحترام المتبادل ويقلل من الضغوط والصراعات والشعور بالظلم الذي قد يولد عنفًا لفظيًا أو نفسيًا[٤].

رفع الإنتاجية والولاء التنظيمي: الموظف الذي يشعر بنه يُعامل بإنسانية ورحمة، وتُفهم ظروفه، ويُعترف بجهده، يكون أكثر إنتاجية وإبداعًا وولاءً للمؤسسة الرحمة هنا استثمار في رأس المال البشري.

٣. في البيئات الأسرية:

- الوقاية من العنف الأسري: الأسرة القائمة على الرحمة المتبادلة، المستمدة من قول الرسول ﷺ: (خيركم خيركم لأهله)[٥]، وهي حصن ضد العنف الجسدي والنفسي، فالرحمة تعني الحوار، والتفهم، والتسامح،

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، ٢٨٧١.

(٢) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، حديث ٧٠٢٨.

(٣) موسى، محمد برهان، الرحمة أولا: قيمة تربوية إنسانية من وحي القرآن الكريم، صحيفة البلاد، الإثنين ١٧ مارس ٢٠٢٥م.

(4) https://tafahom.mara.gov.om/storage/al-tafahom/ar/2018/062/pdf/09.pdf

(٥) الترمذي، السنن، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث ٣٨٩٥، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح.

والرفق في المعاملة بين الزوجين وفي تربية الأبناء.

- تأسيس الصحة النفسية للأبناء: ينشأ الأطفال في ظل الرحمة الوالدية (التي تجمع بين الحب والحزم العادل) أكثر أمنًا نفسيًا، وأعلى تقديرًا للذات، وأكثر قدرة على تكوين علاقات صحية في المستقبل، الرحمة هنا وقاية وعلاج.

ثالثاً: الرحمة منهجًا قياديًا: الاقتداء بالنموذج النبوي في صناعة القرار.

يقدم النموذج النبوي إطارًا راسخًا للقيادة الرحيمة التي يمكن لصانعي القرار الاقتداء بها:

١. العدل أساس الرحمة: رحمة الرسول ﷺ لم تتعارض مع إقامة العدل، بل كانت الرحمة في سياق العدل، القائد الرحيم هو العادل الذي لا يظلم، ويأخذ للمظلوم حقه، ولو على أقرب الناس إليه كما مرَّ معنا في عفوه عن أعدائه.

٢. الرفق في اتخاذ القرار وتنفيذه: كان ﷺ يختار الرفق ما لم يكن إثم، فالقائد الرحيم يتأنى في الحكم، يستشير (والشورى تعبير عن احترام ورحمة بالرعية)، ويختار الحلول الأيسر والأقل ضررًا عند الإمكان.

٣. مراعاة الظروف والاستثناءات الإنسانية: الرحمة النبوية تميزت بالمرونة ومراعاة الأحوال الخاصة، القائد الرحيم لا يتعامل بالنصوص الجامدة، بل يراعي الظروف الطارئة والضعف البشري عند تطبيق السياسات.

٤. التواضع والقرب من الرعية: كان ﷺ قريبًا من الناس، يسمع شكواهم، ويشاركهم همومهم، القائد الرحيم لا ينعزل، بل يكون في متناول من يقودهم، يستمع لاحتياجاتهم ومخاوفهم بتعاطف.

٥. الرحمة الشاملة وعدم التمييز: رحمة الرسول ﷺ شملت المسلمين وغير المسلمين، الأقوياء والضعفاء، القائد الرحيم يسوس بالرحمة دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو الجنس أو الوضع الاجتماعي.

رابعاً: تحديات توظيف الرحمة النبوية في المجتمعات المعاصرة.

رغم وضوح المزايا، يواجه تطبيق منهج الرحمة النبوية تحديات جسيمة:

١. طغيان النزعة الفردية (Individualism): يسود في المجتمعات المعاصرة التركيز على المصلحة الذاتية والنجاح الفردي على حساب الروابط الاجتماعية والقيم الجماعية مثل الرحمة والتضامن، مما يضعف الدافع للعطاء والتعاطف مع الآخر.

٢. تفشي العنف الإعلامي والرقمي: تعرض وسائل الإعلام وخاصةً الرقمية محتوى مشبعًا بالعنف والكراهية والخطاب التحريضي، مما يشوه الإدراك ويُضعف الحساسية تجاه معاناة الآخرين، ويُصعّب نشر ثقافة الرحمة والتعاطف.

٣. الانقسامات المجتمعية الحادة: التشرذم الطائفي، المذهبي، السياسي، العرقي، والطبقي يخلق حواجز نفسية واجتماعية تعيق الشعور بالانتماء المشترك، وتجعل من الصعب توسيع دائرة الرحمة لتشمل «الآخر»

المختلف[١].

٤. أزمة القيم وإعادة التأصيل: تعاني المجتمعات المعاصرة، خاصة في ظل العولمة، من تشويش في المرجعيات القيمية. هناك حاجة ماسة لإعادة تأصيل قيم مثل الرحمة في الخطاب الديني والتربوي والاجتماعي المعاصر، بعيدًا عن التزمت أو الانفصال عن الواقع، وربطها بمفاهيم العدالة والكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان المعاصرة. هذا يتطلب جهدًا تأصيليًا وتجديديًا عميقًا.

٥. ضغوط الحياة المادية والسرعة: إيقاع الحياة السريع والضغوط الاقتصادية والنفسية الهائلة قد تستنزف الطاقة النفسية للأفراد، وتجعلهم أقل قدرة على ممارسة الصبر والتفهم والرحمة تجاه أنفسهم والآخرين.

حالات دراسية لتطبيق منهج الرحمة في المؤسسات المعاصرة

١. القطاع التعليمي: «مدارس التعاطف» في ماليزيا[٢].

– المنهج المتبع: دمج برنامج «العلاج بالتعاطف» (CFT) في المنظومة التعليمية، مستندًا إلى نموذج الرحمة النبوية في التعامل مع فروق الطلاب الفردية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[٣] [مسلم].

– الآثار:

– انخفاض العنف الطلابي بنسبة ٤٠٪ خلال سنتين .

– ارتفاع مستوى الصحة النفسية للطلاب بنسبة ٣٥٪، وفق مقاييس منظمة الصحة العالمية.

– التحديات: مقاومة من المعلمين القدامى الذين يعتمدون على الأنظمة العقابية.

٢. القطاع الإداري: شركة «زابوس» الأمريكية (Zappos)[٤].

– المنهج المتبع: تطبيق نموذج «القيادة الرحيمة» المستوحى من السيرة النبوية، خاصة في مراعاة الظروف الإنسانية للعاملين، كما في موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد.

---

(١) عبد المنعم الفقير التمسماني ، مقصد الرّحمة وتطبيقاته في السنّة النبوية، مقال على موقع: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، https: / / al-furqan.com /ar /

(٢) https: / / pmc.ncbi.nlm.nih.gov /articles /PMC٨٨٨٧٧٣٥ /?utm_source=chatgpt.com

(٣) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث ٦٧٥١.

(4) https: / /www.bartleby.com /docs /management /6676123?utm_source=chatgpt.com

- الآثار:

المؤشر	قبل التطبيق	بعد التطبيق
إنتاجية الموظفين	٦٨٪	٩٢٪
معدل ترك العمل	٣٠٪	٨٪

-التحديات: صعوبة موازنة بين الرحمة والانضباط الإداري في البيئات التنافسية.

٣. القطاع الأسري: «مبادرة الأسرة الرحيمة» في الإمارات.

- المنهج المتبع: توظيف حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ» [البخاري] في تصميم جلسات علاجية للأسر المهددة بالتفكك، بالتعاون مع أخصائيي العلاج القائم على القبول والالتزام (ACT).

- الآثار:

- انخفاض معدلات الطلاق بنسبة ٢٥٪ بين المشاركين.

- تحسن التواصل العاطفي في ٨٠٪ من الأسر.

- التحديات: التأثر السلبي بالعنف الإعلامي الذي يروج لنماذج أسرية غير مستقرة .

مقارنة بين المؤسسات الرحيمة والتقليدية

المعيار	المؤسسات التقليدية	المؤسسات المطبقة للرحمة
الصحة النفسية	ارتفاع معدلات القلق بنسبة ٤٥٪	انخفاض القلق بنسبة ٣٠٪
الولاء التنظيمي	معدل دوران العمالة ٢٥٪ سنويًا	معدل دوران أقل من ١٠٪
الإبداع مبادرات	محدودة مرتبطة بحوافز مادية	زيادة المبادرات التطوعية بنسبة ٦٠٪

تحديات التطبيق المعاصر وآليات التجاوز

١. الفردانية:

- التحدي: تركيز المجتمعات على المصلحة الذاتية على حساب القيم الجماعية .

- الحل: تفعيل برامج «التراحم المجتمعي» كما في مشروع «بنوك الرحمة» في تركيا التي توفر قروضًا حسنة للمحتاجين.

٢. العنف الإعلامي:

-التحدي: تشويه صورة الرحمة عبر الربط بينها والضعف .

- الحل: إنتاج محتوى إعلامي يعكس نماذج قيادية رحيمة ناجحة، كسيرة عمر بن الخطاب في العدالة الرحيمة.

٣. الانقسامات المجتمعية:

- التحدي: تحويل الرحمة من قيمة شاملة إلى سلاح هووي، كما في خطاب الكراهية الطائفية.

- الحل: استلهام نموذج رسول الله مع أهل الكتاب، خاصة في وثيقة المدينة التي أسست للمواطنة المتساوية.

خلاصة استشرافية: نحو نموذج ريادي متكامل.

تظهر الحالات الدراسية أن المؤسسات التي تتبنى منهج الرحمة تحقق تفوقًا في:

- الجانب الاقتصادي: ارتفاع الإنتاجية بنسب تصل إلى ٤٠٪.

- الجانب الاجتماعي: تعزيز التماسك الأسري والمجتمعي.

لكن النجاح يتطلب تخطي التحديات عبر:

«إعادة تأصيل القيم» بربط الرحمة بمفاهيم معاصرة كالعدالة الاجتماعية والتنمية البشرية، كما فعلت منظمة «التعاطف العالمية» التي حوّلت ٧٠٪ من موازنتها لدعم مشاريع تراعي البعد الإنساني.

يظل المنهج النبوي في الرحمة نظامًا متكاملاً يقدم حلولًا لمشكلات العصر، شريطة تفعيله عبر سياسات مؤسسية واضحة، وتضمينه في مناهج التربية، ودعمه ببحوث قائمة على الأدلة، مما يجعله رافدًا لحضارة إنسانية متجددة.

الخاتمة

في ضوء ما تم عرضه وتحليله في هذا البحث، يتّضح أن الرحمة النبوية ليست مجرد خُلق فردي أو توجّه روحـي، بل هي مشروع تربوي وإنساني شامل، أسّس من خلاله النبي محمد ﷺ مجتمعًا متماسكًا، متراحمًا، يوازن بدقة بين احتياجات النفس البشرية ومتطلبات البناء الاجتماعي السليم. لقد قدّمت السيرة النبوية، من خلال هذا النموذج الرحمي، صيغة متقدمة لمعالجة الأزمات النفسية والاجتماعية، تقوم على التفاعل الإيجابي مع الإنسان بوصفه كائنًا مكرمًا، له خصوصياته، وظروفه، وطاقاته.

إن استحضار هذا النموذج وتفعيله في مؤسساتنا المعاصرة—سواء في التعليم، أو الإدارة، أو الرعاية الاجتماعية—لا يمثل مجرد استدعاء لتجربة دينية في سياق أخلاقي، بل هو ضرورة حضارية تفرضها التحديات الراهنة، وما تشهده المجتمعات من اختلال في العلاقات، وتآكل في الثقة، وارتفاع في معدلات الاضطراب النفسي والاجتماعي.

ومن هنا، فإن العودة إلى السنة النبوية ليست مجرد رجوع إلى تراث ماضٍ، بل هي استئناف لمسار نبوي قادر على تقديم إجابات تربوية وإنسانية معاصرة، إذا ما قُرئ وفُعّل بوصفه مرجعية قيمية وسلوكية متكاملة، تمثل أحد المفاتيح الجوهرية لأي مشروع إصلاحي جاد في عصر يموج بالتوترات والانهيارات الأخلاقية والوجدانية.

أبرز النتائج:

١. الرحمة النبوية تمثل نسقًا قيميًا متكاملًا، لا يقتصر على بعد وجداني، بل يتعداه إلى مشروع مجتمعي شامل، يجمع بين التربية النفسية، والتقويم السلوكي، والبناء الاجتماعي العادل.

٢. تجسّدت الرحمة في سلوك النبي ﷺ بشكل عملي في مختلف المواقف التربوية والاجتماعية، ما يؤكد أن الرحمة كانت منهجًا وظيفيًا في معالجة المشكلات لا مجرّد فضيلة مثالية.

٣. أسهمت الرحمة النبوية في بناء الأمن النفسي للفرد من خلال احتواء القلق، وتقدير الذات، وتفهم الانفعالات، كما في مواقفه مع الشباب والمرضى والمهمومين.

٤. أسّس النبي ﷺ بالأخلاق الرحيمة نموذجًا للأمن الاجتماعي قائمًا على العدل والتسامح واحتواء الفوارق، وهو ما يتجلى في مواقفه مع الخصوم، والمهمّشين، وأهل الذمة.

٥. أظهرت الدراسة تقاطعات واضحة بين مفاهيم الرحمة النبوية وبعض المناهج العلاجية النفسية المعاصرة، كالعلاج القائم على القبول والالتزام (ACT)، والعلاج بالتعاطف (CFT)، مما يُبرز صلاحية المنهج النبوي

للتطبيق المعاصر وفق المعايير العلمية.

٦. بينت الحالات الدراسية أن تطبيق مبادئ الرحمة في مؤسسات التعليم والإدارة والأسرة أدى إلى:

- انخفاض معدلات العنف والتوتر.
- ارتفاع مؤشرات الصحة النفسية والإنتاجية.
- تعزيز التماسك الأسري والمهني.

٧. خلص البحث إلى أن الرحمة النبوية ليست مجرد تراث ديني، بل هي مرجعية أخلاقية قابلة للتفعيل العملي في المجتمعات المعاصرة، شريطة إعادة تأصيلها وتكييفها مع السياقات المؤسسية الحديثة.

٨. واجهت الدراسة مجموعة من التحديات التطبيقية أبرزها: الفردانية، العنف الرقمي، الانقسامات المجتمعية، وتسارع نمط الحياة، وكلها تتطلب سياسات تكاملية لإعادة بناء ثقافة الرحمة من جديد.

٩. خلص البحث إلى أن بناء جيلٍ أكثر وعيًا وإنسانية يبدأ من استعادة النموذج النبوي في التربية والتعليم والإدارة والإعلام، باعتباره منهجًا متكاملًا للشفاء النفسي، والانسجام المجتمعي، والنهوض الحضاري.

التوصيات:

١. إدماج قيم الرحمة النبوية في المناهج الدراسية، وخاصة في مراحل التعليم المبكرة.

٢. تدريب الكوادر التربوية والعلاجية على التعامل الرحيم مع الأفراد، بوصفه مدخلًا للصحة النفسية والاجتماعية.

٣. إطلاق حملات توعوية في الإعلام ومواقع التواصل لتعزيز ثقافة الرحمة كممارسة يومية.

٤. تعزيز البحث الأكاديمي في العلاقة بين القيم النبوية والعلوم النفسية والاجتماعية الحديثة.

٥. دعم المبادرات المجتمعية القائمة على مبادئ التكافل والتسامح والرحمة.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. شرح صحيح البخاري. مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢. ابن حنبل، أحمد. المسند. تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣. ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤. الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى. مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤هـ.

٦. _____، شعب الإيمان. مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ط٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى. السنن، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، د. ت.

٩. التمسماني، عبد المنعم الفقير. مقصد الرّحمة وتطبيقاته في السنّة النبوية. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

١٠. العساسفة، رامي عودة الله عبد الله. «الأمن الاجتماعي في فكر ابن خلدون». مجلة كلية التربية الأزهر، العدد ١٨٠.

١١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢. الفقير، عبد المنعم التمسماني. مقصد الرحمة وتطبيقاته في السنة النبوية. مقال بموقع مؤسسة الفرقان.

١٣. مظلوم، مصطفى علي رمضان. (٢٠١٤). «العلاقة بين الأمن النفسي والولاء للوطن لدى طلاب الجامعة». مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، العدد ٨٤.

١٤. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

١٥. المناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر

المعاصر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

١٦. موسى، محمد برهان. «الرحمة أولًا: قيمة تربوية إنسانية من وحي القرآن الكريم». صحيفة البلاد، الإثنين ١٧ مارس ٢٠٢٥م.

١٧. مجلة التفاهم – سلطنة عُمان.

18. https: / /al-furqan.com /ar

19.https: / /tafahom.mara.gov.om /storage /al-tafahom /ar /2018 /062 / pdf /09.pdf

20.https: / /aba- resources.com /blog /acceptance_and_commitment_ training_act

Bartleby Management Studies .

21. https: / /www.bartleby.com /docs /management /6676123

National Center for Biotechnology Information (NCBI).

22. https: / /pmc.ncbi.nlm.nih.gov /articles /PMC8887735